وحدة المسلمين في العقيدة
منهجًا وتطبيقًا

بقلم
دكتور
محمد عبد التواب المعلم
أستاذ المساعد بالقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذه قضية « رؤية الله تعالى بين الإثبات والنفى » . نطبق بها على المنهج الذى فصلناه فى كتابنا :

« وحدة المسلمين فى العقيده منهجا وتطبيقا : المنهج »

وخلاصة المنهج الذى ذكرناه فى كتابنا المذكور أنه خارج دائرة « المعلوم من الدين بالضرورة » فإن باب الإجتهاد مفتوح للمسائل التى تقع خارج هذه الدائرة وللمصيب أجران ، وللمخطئ أجر يستوى فى ذلك قضايا « عالم الغيب » وقضايا « عالم الشهادة » .

أى أن عالم الفقه أو العقيدة يستوى فى ذلك مع عالم الكيمياء ، أو الفيزياء ، أو الطب ، أو الزراعة . . . . الخ وبالتالى تتحقق وحدة المسلمين التى تئن من ضربات متلاحقة قديما وحديثاً .

وما ذكرنا قضية « رؤية الله تعالى » إلا كمثال يقاس عليه بقية المسائل والقضايا .

ولقد شغلتنى هذه القضية ـ قضية وحدة المسلمين ـ طوال حياتى ، ولكن ما باليد حيله ، فلقد أعطانى الله علما من فضله ولم يعطنى بسطة فى الجسم ـ بدنا ونفسا ـ أستطيع بها الجهاد بالكلمه المسموعه والمرئيه لنشر هذه الآراء التى من الله بها على .

ولما كان فى استطاعتى الآن أن أمسك بالقلم لأكتب يشهد الله أننى ما تأخرت لحظة فى سبيل انجاز هذا الأمر .

ولقد لاحت بوادر هذا المنهج تتبلور فى عقلى وقلبى حينما أتيح لى الإطلاع على قضايا الفكر الإسلامى منهجا وتطبيقا من خلال قراءاتى للتحضير لرسالة « الدكتوراه » وكانت بعنوان :

« قضية دفع المعارض العقلى فى الفكر الإسلامى أصولها وتطورها »

وبالتالى شملت قراءاتى فى الفكر الإسلامى القديم منه والحديث واطلعت على مدى مايعانيه ذلك الفكر من ضربات غير الفاهمين للمنهج الإسلامى فى هذا السبيل لقد قال الحق تبارك وتعالى :

« إن هذه أمتكم أمة واحده » .

فإذا وجدت نفسك تقول أو تفعل ضد ذلك فلابد من التوقف .

لأن الآية السابقة إذا كانت قررت وحدة الأمه الإسلامية ولا شىء غير ذلك فقد جاء فى آية أخرى الأمر بالوحده .

قال تعالى : —

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

فإذا وجدت نفسك تقول أو تفعل غير ذلك ضد وحدة المسلمين فلابد من التوقف ومراجعة النفس .

ويعز على نفسى أن يغيب ذلك عن فطاحل علماء المسلمين قديما وحديثا .

فاقنى أن أقول أنه إذا كان للمصيب أجران وللمخطى أجر فمعنى ذلك أن الحق القاطع ليس مع أحدهما على حد علمنا .

فرأيي فى نظرى صحيح يحتمل الخطأ ورأى غيرى خاطىء فى نظرى يحتمل الصواب .

والله سبحانه وتعالى هو الذى يفصل بين عباده يوم القيامة .

ولقد أسعدنى أن يتفق معى فى هذا المنهج قديما وحديثا بعض من خيرة علماء المسلمين .

يقول الأستاذ الدكتور : « طه جابر فياض العلوانى » . فى مقدمته لكتاب « أدب الإختلاف فى الإسلام » : —

« إن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ماحرصا على شىء — بعد التوحيد — حرصها على تأكيد وحدة الأمة، ونبذ الاختلاف بين أبنائها، ومعالجة كل مامن شأنه أن يعكر صفو العلاقة بين المسلمين أو يخدش أخوة المؤمنين .

ولعل مبادىء الإسلام ماندت بشىء — بعد الإشراك بالله — تنديدها باختلاف الأمة ، وماحضت على أمر — بعد الإيمان بالله — حضها على الوحده والإئتلاف بين المسلمين وأوامر الله ورسوله واضحه فى دعوتها لإيجاد الأمه التى تكون كالجسد الواحد ، إذا اشتكى بعضه أصابه الوهن كله »[1] .

ويقول الأستاذ أحمد بهجت فى عموده اليومى بالأهرام القاهرية بتاريخ ٢٥ / ٧ / ١٩٩٧ م تحت عنوان « مجتهدون »

ما يلى : —

« كل من أسلم وجهه لله وملأ بالتوحيد قلبه وأخضع جوارحة لأمر

(١) د . طه جابر فياض : أدب الإختلاف فى الإسلام ص ١٨ .

الله فهو مسلم، وكل من نطق بالشهادتين فهو مسلم . ومادام مصدقا بالقرآن ومستقيا منه ومؤمنا بمحمد - ﷺ - ومتبعاله فهو معذور فى أى اجتهاد يخطىء فيه .

يقول الشيخ عبد الجليل عيسى فى كتابه « مالا يجوز فيه الخلاف » أن الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى فى كتابه « تاريخ الجهمية والمعتزلة » الموجود بدار الكتب كتب فصلا فى بيان أن المعتزله والمرجئه وكثيرا غيرهم من الفرق الإسلامية مجتهدون لهم ماللمجتهدين من أجر وعذر ، فكما أن إسم الإجتهاد يتناول فى العرف فروع الفقه فكذلك يتناول مسائل الكلام لعموم مفهوم الإجتهاد .

وكيف لاتعد فرق المجتهدين فى الأصول من المجتهدين وهى تستدل على دعواها بالقرآن والسنه وترى أن ماظهر لها منهما هو الحق دون سواه ، وإن ذهب كل فريق إلى مارآه أوفق بكلام الله ورسوله وأليق بعظمته ، فكانوا لذلك مجتهدين وفى اجتهادهم مأجورين ، وإن كانوا فى القرب من الحق متفاوتين .

ثم قال : ولا يصح ذم أهل الفرق على الإطلاق .

لقد تلقى أئمة الحديث على كثير منهم . وروى البخارى ومسلم وغيرهم عن عدد كبير من المعتزله والشيعه والإباضية والمرجئة .

ومن المقرر عند جميع العلماء أن المجتهد معذور بل مأجور وإن أخطأ . وإذا انتفى الاثم عن المجتهد فكيف يصح نبذه بالألقاب ، إنما فرق الأمة الإسلامية وجعلها شيعا وأذهب ريحها هو هذا التنابذ والإزدراء المعيب ، رغم أن الكل إخوه فى الإسلام .

يقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - : إن ملاقاة رأى نبع من قلب

صالح وعقل سليم بالتجهم والسوء لايجوز ، وعندما تترك شتى الآراء والمذاهب للزمان ، وتتعرض لطول النقد والتمحيص فإن مالاسند له سوف يتلاشى من تلقاء نفسه .

ولقد وضع حجة الإسلام أبو حامد الغزالى أساساً للتقريب بين المذاهب الإسلامية وكان علاجه الفذ أن نتعاون فيما اتفقنا عليه وهو كثير ولا حصر له وأن يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه وهو قليل ولايحتمل العداوة » .

ولقد كتب الشيخ « سعيد شعبان » أمير جماعة التوحيد بلبنان كتاباً صغيراً فى حجمه كبيرا فى محتواه بعنوان :

« مفهومنا القرآنى للوحدة الإسلامية »

بث فيه آراء تكاد تتطابق مع مانقول حرفا ومعنى ، أرجو كل من وقع فى يده هذا الكتاب — وهو موجود بمعرض القاهرة الدولى للكتاب كل عام — أن يقرأه جيدا ليرى القلوب قد التقت على الخير والحب والوحده والإتحاد .

ولقد ظل الشيخ محمد الغزالى — رحمه الله تعالى — وكذلك الشيخ/ محمد متولى الشعراوى — رحمه الله تعالى — وغيرهما من علماء المسلمين — وهم كثير والحمد لله — يناديان وذلك طول حياتهما — ويبثان هذا المنهج فى أحاديثهما وكتاباتهما جزاهما الله خير الجزاء .

فقد كنت أنصت جيدا إلى الشيخ / محمد متولى الشعراوى فى شرحه للآيات التى تتعلق بالقضايا المختلف حولها — وليراجع ذلك فى أحاديثه من يشاء لأرى إلى من سيجنح الشيخ؟ هل إلى الأشاعره ؟ هل إلى المعتزلة ؟ هل إلى غيرهما .

فأجده قد تمعن فى الآية أو الآيات ومدلولها اللغوى مع مايسند هذا المدلول من أحاديث نبويه شريفه وما يفيض الله به عليه من فيوضات ورحمات ومعانى يستعين بكل ذلك للخروج برأى فى الآية أو الآيات موضوع القضية .

ويركز على ذلك وهو خالى الذهن لايقصد تأييد هذا الرأى أو ذاك فأجده قد خرج برأى يرتاح له القلب والعقل وأجده مره مع الأشاعره ومره مع المعتزلة ومره مع غيرهما ومره منفرداً برأى لم يسبق إليه غير مرتبط بأسس منهجية يراعيها كما تفعل الفرق وتلجئه إلى رأى قدلا يتفق مباشرة مع مدلول الآية ، فالفرق تلجىء بعضها إلى إطراد المنهج طبقا للأسس المنهجية التى وضعتها كل فرقة لنفسها وهو مايؤدى إلى القول بآراء تخالف ماعليه أهل هذه الفرقة .

اللهم تقبل منى عملى هذا واجعله فى ميزان حسناتى يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، إنك سميع قريب مجيب الدعاء يارب العالمين .

وننوه إلى أن بحث « وحدة المسلمين فى العقيدة منهجاً وتطبيقاً »

(المنهج)

قد نشر فى بحث خاص وهاهو بحث (وحدة المسلمين فى العقيدة منهجاً وتطبيقا) [التطبيق] ينشر فى مجلة كلية أصول الدين الغراء فمن أراد البحث مجتمعا فعليه بمراجعة الباحث ليمده بالجزء الخاص بالمنهج فهو مطبوع لوجه الله سبحانه وتعالى .

اللهم تقبل منا إنك سميع قريب مجيب الدعاء

دكتور

محمد عبد التواب السيد

تطبيق المنهج زمن النبى ﷺ

مر زمن النبى ﷺ والمسلمون فى وحدة عقديه ملتزمين فى ذلك بالقرآن الكريم وسنة النبى ﷺ .

فقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » آل عمران : ١٠٣ .

وقوله تعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحده وأنا ربكم فاتقون » المؤمنون : ٥٢

وقوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » الشورى : ١٣

وقوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » الأنفال : ٢٦

وقوله تعالى : « ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » الروم : ٣١ ، ٣٢

وقوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » الأنعام : ١٥٩

وكان رسول الله ﷺ يدرك أن بقاء هذه الأمه رهين بتألف القلوب التى التقت على الحب فى الله وأن حتفها فى تناحر قلوبها ، لذلك كان عليه الصلاة والسلام يحذر من أن يذر الخلاف قرنه فيقول : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »[1] .

---

(١) أخرجه البخارى على ما فى الجامع الصغير ٢/٤٩٤

وكان كرام الصحابه رضوان الله عليهم يرون أن الخلاف لا يأتى بخير كما فى قول ابن مسعود رضى الله عنه : « الخلاف شر » .

لذلك كان رسول الله ﷺ يجتث بذرة الخلاف قبل أن تتنامى .

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: هجّرت إلى رسول الله ﷺ يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية ، فخرج رسول الله يعرف فى وجهة الغضب فقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب »[1] .

وعن النزال بن سبره قال : سمعت عبد الله بن مسعود قال : سمعت رجلا قرأ آية قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ فقال : « كلا كما محسن » .

قال شعبه : أظنه قال « لا تختلفوا فإن من قبلكم اختلفوا فهلكوا »[2].

فهنا يعلم الرسول ﷺ الصحابه ومن يأتى بعدهم عواقب الأختلاف ويحذرهم منه .

وكان رسول الله ﷺ يعلم الصحابه رضوان الله عليهم أدباها ما من آداب الأختلاف فى قراءة القرآن خاصة فيقول فى الحديث الصحيح :

« اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإن اختلفتم فيه فقوموا »[3].

وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى .

وشبك ﷺ بين أصابعه وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم

(١) ابن حزم : الأحكام فى أصول الأحكام ٥/٦٦

(٢) المصدر السابق

(٣) أخرجه الشيخان وأحمد فى المسند ويراجع : أدب الأختلاف فى الإسلام . د. طه جابر فياض العلوانى

وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » رواه البخارى ومسلم من طريق النعمان بن بشير .

وقال ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[1] .

وقال ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ... » الحديث[2] .

ويقول ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ترجعوا من بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[4] .

وعندما كان يسمع عليه الصلاة والسلام صحابته يتنادون بالعصبيه كان يقول لهم : « دعوها فإنها منتنه » .

وعليه فلم تكن وحدة المسلمين فى زمنه ﷺ ترفا بل كانت ضرورة وفرضا وواجبا أملاه عليهم القرآن الكريم والسنة النبويه المطهره .

ولقد تكفل القرآن الكريم بالرد على اليهود والنصارى فى معتقداتهم .

(١) أخرجه مسلم عن طريق أبى هريره ورواه البخارى من طريق عبد الله بن عمر بلفظ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته »

(٢) رواه أحمد والنسائى وأبو داود

(٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد المعطى بيومى :

« تحدث القرآن الكريم كثيراً ، وفى أكثر من سورة عن بنى إسرائيل ومواقفهم من بنى الله موسى عليه السلام وكفرانهم بنعم الله المتعدده عليهم ، وعبادتهم العجل ، وقولهم عزير بن الله ، كما تحدث عن النصارى وتأليههم للمسيح قال تعالى : « وقالت اليهود عـــزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » [التوبه : ٣٠] .

وبعد أن أثبت القرآن الكريم بشرية المسيح وأنه رسول الله « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كانا يأكلان الطعام » [المائده : ٧٢] .

ناقش فكرة أن يكون لله ولد أو بنت فى أكثر من موضع ، وبين أن الكون كله ملكه :

« له ملك السموات والأرض » .

وبين أن قدرته تامه فهو على كل شىء قدير فليس بحاجة إذن إلى ولد لأن العاجز وحده هو الذى يحتاج إلى ولد يعينه فهو سبحانه الغنى .

قال تعالى : « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما السموات وما فى الأرض » [يونس : ٦٨ » .

وقال تعالى : « وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » [مريم : ٩٢ ، ٩٣] .

بل إن القرآن الكريم أحرج اليهود والنصارى عندما طالبهم بتطبيق ما فى التوراة والإنجيل « قل ياأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراه والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » [المائده : ٦٨] .

واتهمهم بأنهم حرفوا الكلام عن مواضعه وشوهوا التوراه والإنجيل وإلا فقد كان عيسى عليه السلام مصدقا لموسى عليه السلام ومبشراً بمحمد عليه الصلاة والسلام « وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » [الصف : ٦] (١) .

ومع ذلك فإن القرآن الكريم قال :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » [العنكبوت : ٤٦] .

وقال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » (آل عمران ٦٤) .

هذا بين المسلمين وأهل الكتاب . أما بين المسلم وأخيه المسلم فلا يوجد إلا تعليم وتعلم ولا يوجد جدال ومراء على الإطلاق .

وقد نقل الإمام جلال الدين السيوطى فى كتابه : « صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام » كثيراً من النقول المرويه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين كلها تنهى عن الجدل والمراء فى الدين والإختلاف المؤدى إلى التنازع والفرقة بين المسلمين . نكتفى منه بما يلى : —

(ا) ما أخرج عن أبى هريرة قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى أحمر وجهه ثم قال : أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حتى تنازعوا فى هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا » (٢) .

---

(١) د عبد المعطى بيومى : الفلسفة الإسلامية فى المشرق ص ٦٢، ٦٣

(٢) ص ٧١ ـ ١ ط مجمع لمبحوث الإسلامية .

(ب) أخرج الدارمى فى مسنده عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل ، فقال من أنت ؟ قال : عبد الله بن صبيغ ، فأخذ عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمى رأسه . وفى رواية عنه فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبره ، ثم تركه حتى دمى رأسه . وفى رواية عنه فضربه بالجريد حتى برىء ثم عاد له ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود ، فقال : إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا ، فأذن له إلى أرضه .

وكتب إلى أبى موسى الأشعرى ألا يجالسه أحد من المسلمين[1] .

وتتحدث بعض الروايات أن عمر منع عطاءه ورزقه ومنع أن يعوده أحد إذا مرض أو يشهده إذا مات[2] .

وقد ناقش القرآن الكريم الصابئة ، والأفكار الإلحادية التى كان يعتنقها العرب مثل :

إنكار وجود الله ، وإنكار البعث .

وناقش منكرى نبوته ﷺ وناقش شبههم ودحضها جميعاً .

كل ذلك يدل على أن الجدال والمراء والدفاع إنما يكون عن الإسلام ضد خصومه وأعدائه لا بين المسلمين .

فقد قال القرآن الكريم لمنكرى وجود الله تعالى : —

« أفى الله شك فاطر السموات والأرض » (ابراهيم : ١٠) .

(١) السابق ص ٥ .

(٢) السابق ص ٥١ .

« وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » (الجاثية : ٢٤) .

وقال لمنكرى البعث : — « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون »

(يس : ٧٨ — ٨٣) .

وقال لمنكرى بعثته ﷺ : —

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق » (الفرقان : ٢٠) .

« قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا مايوحى إلى » (الأحقاف : ٩) .

« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » (الإسراء : ٩٥) .

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون . ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » (الزخرف : ٣١ — ٣٥) .

وهكذا انتهى عصر الرسول ﷺ والمسلمون فى وحدة عقيدية . فرضها عليهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

وكما قلنا فى كتاب : (وحدة المسلمين فى العقيدة منهجاً . وتطبيقاً : المنهج) .

أن النهى الوارد إنما هو عن التفرق والتنازع أما الإختلاف فى الرأى وتنوع الآراء وتعددها لاشىء فيه على الإطلاق بل أمر محبوب ومطلوب .

ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)

(هود : ١١٨ — ١١٩)

وقد مارس الصحابة رضى الله عنهم أجمعين نشاطاً عقلياً واسعاً فى عهد رسول الله ﷺ فى ضوء الكتاب والسنة فى المسائل الفقهية المختلفة .

فقد بعث عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل قاضياً إلى بلاد اليمن فقال له : كيف تقضى إذا عرض لك القضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله عز وجل قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ قال : فإن لم تجد فى سنة رسول الله ولا فى كتاب الله ؟

قال : أجتهد رأيى ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله .

ولذلك كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه ويشجعهم على القضاء والفتيا بين الناس .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبيه قال : جاء خصمان يختصمان إلى رسول الله ﷺ قال لى ياعمرو أقض بينهما ، قلت : أنت أولى منى بذلك يا رسول الله ، قال : وإن كان . قلت على ماذا أقضى ؟ قال إن

أصبت القضاء بينهما فلك عشر حسنات ، وإن اجتهدت فأخطأت فلك حسنة »(١) .

وكذلك ما أخرجه البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب : « لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة » .

فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم : لا نصلى حتى نأتيها ، أى : ديار بنى قريظة .

وقال بعضهم بل نصلى لم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبى ﷺ ، فلم يخطىء واحداً منهم »(٢) .

وظاهر من هذا الحديث الشريف أن الصحابة رضوان الله عليهم انقسموا إلى فريقين فى موقفهم من أداء صلاة العصر : فريق أخذ بظاهر اللفظ (كما يقول المناطقة) أو بما يسميه أصوليو الحنفية بـ (عبارة النص) .

وفريق استنبط من النص معنى خصصه به .

وتصويب رسول الله ﷺ للفريقين دليل على مشروعية كل من المذهبين .

فالمسلم إذن : له أن يأخذ بظاهر النص ، وله أن يستنبط من المعانى مايحتمله النص ، ويمكن التدليل عليه ولا لوم على من بذل جهده ، وكان مؤهلا لهذا النوع من الجهد .

---

(١) د . عبد المعطى بيومى : الفلسفة الإسلامية ص ٧٤ .

(٢) انظر صحيح البخارى بهامش شرحه فتح البارى (٧ / ٣١٣) وسنن البخارى (٥ / ٤٧) ومسلماً فى كتاب الصلاة .

فالفريق الثانى من الصحابة ، رضوان الله عليهم ، فهموا أن رسول الله ﷺ إنما أراد أن يأمرهم بالمبالغة فى الإسراع ، ولذلك اعتبروا أن أداءهم الصلاة قبل الوصول إلى بنى قريظة لاينافى أمر رسول الله ﷺ بالصلاة فى بنى قريظة ، مادامت الصلاة لن تؤخرهم عن الوصول[1] .

وعليه فقد اجتهد الصحابة رضوان الله عليهم فى زمن الرسول ﷺ واختلفوا ولكن كان اختلافاً من النوع المحمود الذى لايؤدى إلى فرقة وتنازع .

ولذلك سادت الأخوة بينهم والاحترام والتقدير رغم هذا الاختلاف .

(١) د . طه جابر فياض : أدب الإختلاف فى الإسلام ص ٣٧ .

تطبيق المنهج فى عهد الخلفاء الراشدين

فى عهد الخلفاء الراشدين كان الوفاق والحب سائراً بين الصحابة — حتى الفتنة الكبرى فى النصف الثانى من ولاية سيدنا عثمان بن عفان — رضى الله عنه .

وإذا حدث اختلاف فإنما هو من باب الاختلاف الذى لا يفسد للود قضية بكل ما تعنيه هذه العبارة من معنى لا كما يلوكها مختلفو اليوم .

وفيما يلى صور من اختلاف الصحابة :

١ — اختلافهم فى وفاته عليه الصلاة والسلام :

لما توفى رسول الله ﷺ كان وقع وفاته ﷺ صدمة شديدة على المسلمين .

لدرجة أن سيدنا عمر رضى الله عنه شهر سيفه فى وجه كل من يقول بأن محمداً قد مات .

حتى قرأ سيدنا أبو بكر قول الحق تبارك وتعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

[آل عمران : ١٤٤]

وقوله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » ، [الزمر : ٣٠]

فسقط السيف من يد سيدنا عمر ، وخر إلى الأرض ، واستيقن فراق رسول الله ﷺ وانقطاع الوحى ، وقال عن الآيات التى تلاها سيدنا أبو بكر « كأنى والله لم أكن قرأتها قط »[1] .

(١) ينظر : الأحكام (١٢٥/٢) وتفسير ابن كثير (٥٢/٤) وتفسير الطبرى (٣٠٢/٢٤) وسيرة ابن هشام (٦٥٥/٢) .

ويروى ابن عباس رضى الله عنهما عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه قال فى خلافته :

« يا ابن عباس هل تدرى ماحملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين أنت أعلم ، قال : فإنه والله إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم » ، [البقرة : ١٤٣] .

فو الله إن كنت لأظن أن رسول الله سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه الذى حملنى على أن قلت ما قلت »[1] .

فكأنه رضى الله عنه قد اجتهد فى معنى الآيات الكريمة وفهم أن المراد منها : الشهادة فى الدنيا ، وذلك يقتضى بقاء رسول الله ﷺ إلى آخر أيامها .

٢ — اختلافهم فى دفنه عليه الصلاة والسلام :

اختلف الصحابة فى المكان الذى ينبغى أن يدفن فيه ﷺ فقال قائل « ندفنه فى مسجده ، وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض ، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه فحفر له تحته »[2] .

٣ — اختلافهم فى خلافة رسول الله ﷺ يقول ابن اسحاق :

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٦٦١ ، ٦٦٦) وقد نقل عنه أنه قال نحو ذلك عند مبايعة الصديق فى المسجد .

(٢) المصدر السابق وسنن الترمذى الحديث (١٠١٨) .

« ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعده ، وأعتزل على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أسيد بن خضير فى بنى عبد الأشهل »[1] .

وأوشكت فتنة كبرى أن تقع .. ولكن الرجال الذين تربوا فى ظلال النبوة قد حكمتهم آدابها فى سائر الأحوال ، حال الاتفاق وحال الاختلاف وفى كل شأن من شئون الحياة ، هذه الآداب كانت كفيلة بدرء الأخطار المحتملة ، والحفاظ على الرسالة ، وحماية وحدة الأمة وتسيير الأمور بشكل مماثل لما كانت تسير عليه فى عهد رسول الله ﷺ يقول الرواة : « أتى آت إلى أبى بكر وعمر فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعده قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجه فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم » .

جاء هذا الخبر إلى الشيخين ورسول الله ﷺ لم يجهز ولم يدفن بعد ، قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى أخواننا هؤلاء من الأنصار ننظر ما هم عليه .

ولندع سيدنا عمر يروى بقية ما حدث حيث قال : .... إن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعده فانطلقنا نؤمهم ، حتى لقينا — منهم — رجلان صالحان فذكرا لنا ماتمأ لأعلبه القوم ، وقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ، قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم ألا تقربوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم قال : قلت والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعده ، فإذا بين ظهرانينا رجل مزمل ، فقلت : من هذا الرجل ؟ فقالوا ! سعد بن عبادة فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع .

(١) سيرة ابن هشام (٢/٦٥٦) .

فلما جلسنا نشهد خطيبهم .. ثم ذكر مآثر الأنصار وفضائلهم ومايدل على أنهم أولى بخلافه رسول الله من غيرهم .

ولما سكت — أى خطيب الأنصار — أردت أن أتكلم وقد زورت (هيأت وحسنت) فى نفسى مقالة أعجبتنى فقال أبو بكر على رسلك ياعمر فكرهت أن أغضبه . فتكلم وهو كان أعلم منى وأوقر — فو الله ما ترك كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته أو مثلها أو أفضل حتى سكت وبما قال — رضى الله عنه — : « أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم به أهل .. وأشاد بهم وبما قدموا لدينهم ولاخوانهم المهاجرين وذكر من فضائلهم ومآثرهم ما لم يذكره خطباؤهم ثم بدأ فى إخراج الأمر من الإطار الذى وضعه خطيب الأنصار فيه فالأمر ليس قاصرا على المدينة وحدها فالجزيرة العربية اليوم كلها تستظل بظل الإسلام .

وإذا كان المهاجرون القاطنون فى المدينة يمكن أن يسلموا لإخوانهم الأنصار بالخلافة ، ويعرفوا لهم فضلهم . فإن بقية العرب لن تسلم لغير قريش ، وما لم تتوحد الكلمة فلن يكتب لرسالة الإسلام تجاوز الحدود والإنتشار خارج الجزيرة .

إذن فمصلحة الدعوة تقتضى أن يكون الخليفة من قريش لتستمر الرسالة ، وتتحد الكلمة ، وتجتمع القلوب ويستقر المد الاسلامى ، ثم خيرهم بين أحد قرشيين لايمارى أحد فى فضل أى منهما ، عمر وأبى عبيدة ونزع نفسه من الأمر .

يقول سيدنا عمر : « ولم أكره شيئا مما قاله غيرها — أى : غير ترشيحه لعمر وأبى عبيدة — وكان — والله — أن أقدم فتضرب عنقى لايقربنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ».

ثم قام من الأنصار خطيب آخر يريد أن يرجع الأمر إلى الإطار

الأول الذى وضعه خطيبهم الأول فيه ... فقال : « منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش » قال عمر : « فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الأختلاف (يريد التنازع والشقاق) فقلت : « أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار »[1] وقد كاد سعد بن عباده مرشح الأنصار رضى الله عنه أن يقتل فى الزحام « فقد تدافع الناس لمبايعة أبى بكر حتى كادوا يقتلون سعدا دون أن ينتبهوا له »[2] .

وهكذا استطاع الصحابة رضوان الله عليهم حسم هذا الخلاف دون أن تبقى فى النفوس رواسب وتوحدت كلمة المسلمين للمضى برسالة الحق إلى حيث شاء الله لها أن تنتشر[3] .

٤ — اختلافهم حول قتال مانعى الزكاة :

عندما توفى ﷺ تولى سيدنا أبو بكر الصديق الخلافة كما مر وحدث أن ارتد بعض المسلمين فى شبه الجزيرة العربية ، وامتنع البعض الآخر عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وامتنع قوم آخرون من أداء الزكاة متأولين خطأ قول الحق وتعالى :

« خذ من أموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » [التوبة ١٠٣] .

وذلك بأن قالوا إنما كان الزكاة تدفع لرسول الله ولايحق لأحد بعده أخذها .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٦٥٦ — ٦٦١) .
(٢) السابق
(٣) د / طه جابر فياض : أدب الاختلاف فى الإسلام ص ٥٩

فأقسم الصديق رضى الله عنه بمقاتلة الجميع حتى يعودا إلى حظيرة الإسلام وهنا اختلف معه بعض الصحابة وعلى رأسهم سيدنا عمر بن الخطاب قائلين إن مجرد إعلان الشهادتين عاصم للدم والمال. يقول أبو هريرة: — رضى الله عنه: «لما توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضى الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر: فكيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله تعالى»؟

فقال أبو بكر: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه للقتال فعرفت أنه الحق»[1].

وقال ابن زيد: «إفترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين) (التوبة: ١١)

وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال: رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه — ويريد بذلك — إصراره على مقاتلة من فرق بين الصلاة والزكاة»[2].

وبذلك استطاع الصديق رضى الله عنه أن يقنع بقية الصحابة بصواب اجتهاده فى وجوب قتال مانعى الزكاة واعتبارهم مرتدين ما لم يتوبوا، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة... وبذلك ارتفع الخلاف فى هذه المسألة

(١) صحيح البخارى (٢١١/٣).
(٢) تفسير الطبرى (٦٢/١٠).

الشائكة، واتفقت الكلمة على قتال مانعى الزكاة كما اتفقت على قتال المرتدين رده كامله، وحفظ الإسلام من محاولات العبث والإتيان عليه وكنا ركنا بعد أن أخفقوا فى الإتيان عليه كاملا ولولا هذا الموقف من الصديق — رضى الله عنه — ثم من أصحاب رسول الله ﷺ لما قامت للإسلام قائمة ولانحصر فى المدينة ومكة وسادت الردة والفتنة سائر أرجاء الجزيرة[1].

وتذكر كتب التاريخ كثيراً من الإختلافات التى وقعت بين الصحابة فى المسائل الفقهية فى عهد الخلفاء الراشدين ولكن ذلك لم يفسد للود قضية بكل ما تعنيه هذه العبارة من معنى كما قلنا سابقا.

حتى كانت خلافة سيدنا عثمان واتساع الدولة الإسلامية ودخول كثير من أهل البلاد المفتوحة الإسلام ولا يعرفون عنه الكثير وبذلك يسهل تأليبهم وتدخل المنافقون وأعداء الله والإسلام فألبوا بعض أهل البلاد المفتوحة على سيدنا عثمان مع أنه كان مجتهداً فى كل الأمور التى أخذوها عليه ومنها على سبيل المثال قوله «إن عمر منع عطاء أهله لله وأنا أعطيت أهلى لله».

وحدث ما حدث وقتل الخليفة الراشد الثالث رضى الله عنه وأرضاه وتولى سيدنا على الخلافة ووقعت موقعة الجمل ثم موقعة صفين وأرى أنه إبتلاء ابتلى الله به المسلمين ليعلم المواقف التى سيتخذونها وإنا لله وإنا إليه راجعون ونسى المسلمون ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من ضرورة المحافظة على وحدة المسلمين.

صحيح أنه كانت هناك يد خفية للمتآمرين والحاقدين على الإسلام

(١) د. طه جابر فياض: أدب الإختلاف فى الإسلام ص ٦١، ٦٢

تعمل فى الخفاء بالدسائس والإشاعات لإشعال نار الفتنة بين المسلمين لكن المسئولية تقع على المسلمين فى كل زمان ومكان يشعل فيه النار ويواجه المسلم أخاه المسلم منذ الفتنة الكبرى وحتى أيامنا هذه ، ويسمح المسلمون للعصبية أن تلعب دورها ويعلونها على مبادىء الإسلام السامية كما يحدث الآن فى أفغانستان والصومال والجزائر .

وبالنسبة للفتنة الكبرى الأولى نرضى قول من قال : هـذا الأمر سلمت منه أيدينا فلتسلم منه ألسنتنا وأقلامنا ونوكل أمر الكل إلى الله .

ومع نسيان منهج الوحدة نسى المسلمون منهجا آخر له باع طويل فى الإسلام وهو منهج العفو والتسامح والتنازل عن الحق فى سبيل المحافظة على وحدة الأمة .

أحيانا لا يكون الأمر واضحا : الحق مع من ؟

وأحيانا يكون واضحا لكن المواجهة محتدمة .

ففى سبيل المحافظة على وحدة الأمة يتنازل أحد الطرفين عن حقه يقول الحق تبارك وتعالى :

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (فصلت : ٣٣ — ٣٥)

ويقول تعالى : — (والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)

وفى سورة النور قول الحق تبارك وتعالى : —

(ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (النور : ٢٢)

بلى إن العفو يكون عن القاتل من أهل المقتول .

وقد اتبع هذا المنهج سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما حينما تنازل عن حقه وصالح معاوية وبذلك حقن دماء المسلمين وسمى ذلك العام عام الجماعة اللهم أكثر من العافين ومن القاظمين الغيظ والعافين عن الناس بل والمحسنين إلى من بغى عليهم اللهم آمين .

تطبيق المنهج بعد عهد الخلفاء الراشدين
وإلى يومنا هذا

نصل بعد ما قدمناه إلى نشأت الفرق وتشعبها وكثرتها بعد موقعة صفين.

فنشأت فرقة الخوارج والمرجئة، والشيعة وبعد ذلك نشأت فرقة المعتزلة ثم الأشاعرة والماتريدية.

وتمسك من تمسك بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ومن بعده ابن تيمية وابن القيم وسموا أنفسهم السلف.

ودارت المعارك الكلامية المختلفة بين مختلف الفرق والإتجاهات، وخرج النقاش عن الحد المسموح به فى الإسلام من ناحية الإلتزام بأدب الإختلاف فى الإسلام واتهم كل طرف الطرف الآخر بما لا يقره عقل مسلم ملتزم بمنهج الإسلام وآدابه، وأقرأ يا أخى فى تاريخ الفكر الإسلامى لترى العجب العجاب.

وعلى سبيل المثال: لقد شنع المعتزلة على الأشاعرة بأنهم معددين مثل النصارى وأكثر لأن النصارى قالوا بأقانيم ثلاثة والأشاعرة قالوا بأكثر من ذلك لأنهم قالوا بزيادة الصفات على الذات.

فهل هذا يرضى أى مسلم عاقل من أى مذهب من المذاهب أشعرى أم غيره؟

والأشاعرة اتهموا المعتزلة بأنهم نفاه وجهمية لقولهم بأن الصفات عين الذات فهل هذا يرضى أحد من المسلمين أو هل هذا يقره معتزلى واحد؟

وبالتالى خرج النقاش عن أدب الاختلاف فى الإسلام إلى التشنيع وتقويل الطرف الآخر وتحميله آراء لا يمكن أن يقول بها مسلم عاقل وسنعود إلى هذه النقطة فى التعقيب بعد عرض القضية التى اخترناها لتطبيق المنهج عليها.

بحث القضيه التى اخترناها
للتطبيـــق
« رؤية الله تعالى بين الإثبات والنفى »

جاء فى القاموس وشرحه للزبيدى ما نصه: « الرؤيه » بالضم إدراك المرئى، وذلك أضرب بحسب قوى النفس:

الأول: « النظر بالعين » التى هى الحاسه وما يجرى مجراها ومن الأخير قوله تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » [التوبه: ١٠٥].

فإنه مما أجرى مجرى الرؤيه بالحاسه فإن الحاسه لا تصح على الله، وعلى ذلك « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » [الأعراف: ٢٧].

والثانى: بالوهم والتخيل نحو أرى أن زيدا منطلق.

والثالث: بالتفكير، نحو « إنى أرى ما لا ترون » [الأنفال: ٤٨]،

والرابع: « بالقلب » أى بالعقل وعلى ذلك قوله تعالى: « ما كذب الفؤاد ما رأى » [النجم: ١١].

وعلى ذلك قوله تعالى « ولقد رآه نزله أخرى » [النجم: ١٣][1]، والرؤيه هى اتصال شعاع الباصره بالمرئى أو انطباع صورة المرئى فى الحدقه، هذه هى حقيقة الرؤيه التى كانت العرب تعرفها، من عربيتهم ولا يطلقونها على العلم ونحوه إلا تجوزا لنكته مع قرينة وقال تعالى: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » فعلى تقرير صحة حديث الرؤيه

(١) تاج العرس حـ ١ ص ١٢٩ ط: دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان

يجب أن يكون الله مرئيا بالباصره على حد ما ذكرنا كما صرح به اللقانى فى الجوهره ومنه أن يدرك بالأبصار وكما صرح به الشيبانى فى قوله :

ومن قال فى الدنيا يراه بعينـــة
فـــذلك زنديـق طغـى وتمـردا

ولـكـن يراه فى الجنـان عبـاده
كـمـا جاء فى الأخبار نرويه مسنـدا[1]

ويقول الإمام الجوينى فى كتابه « الإرشاد إلى قواطع الأدلة » :

والنظر ينقسم معناه فى اللغة وتعتوره وصائل مختلفه عـــلى حسب اختلاف معانيه . فإن أريد به التقرب والإنتظار استعمل من غير صله : قال الله تعالى فى الإنباء عن أحوال المنافقين ومخاطبتهم المؤمنين وقد حيل بينهم وبينهم : « أنظرونا نقتبس من نوركم » [الحديد : ١٣] معناه : انتظرونا . وإن أريد بالنظر الفكر وصل بفى، فتقول: نظرت فى الأمر، إذا تدبرته ، وإن أريد به الترحم وصل باللام ، فتقول : نظرت لفلان ، وإذا أريد به الإبصار ، أى الرؤيه وصل بإلى[2] .

والآن سنلخص أدلة القائلين بإثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى فى الآخره وعلى رأسهم الأشاعره .

أدلة المثبتين : وهى تنقسم إلى قسمين : أدلة إمكان . وأدلة وقوع .

وأما القسم الأول فمنه عقلى ومنه سمعى .

الدليل العقلى على الإمـكان : قالوا أن المصحح للرؤيه هو الوجود .

(١) الشيخ نور الدين السالمى : مشارق أنوار العقول ص ١٨٦
(٢) الإمام الجوينى : الإرشاد ص ١٨٢

فكما أننا نرى الموجودات ، والله سبحانه وتعالى موجود فالله يصح أن يرى ، بناء على الوجود المتصف به سبحانه .

يقول الإمام الجوينى فى كتاب « الإرشاد » :

قد أدركنا شاهدا مختلفات، وهى الجواهر والألوان وحقيقة الوجود تشترك فيها المختلفات ، وإنما يؤول إختلافها إلى أحوالها وصفات أنفسها، والرؤيه لا تتعلق بالأحوال ، فإن كل ما يرى ويميز عن غيره فى حكم الإدراك ، فهو ذات على الحقيقه ، والأحوال ليست بذوات . فإذا تقرر بضرورة العقل أن الإدراك لا يتعلق إلا بالوجود ، وحقيقة الوجود لا تختلف ، فإذا رئى موجود لزم تجويز رؤية كل موجود ، كما أنه إذا رئى جوهر لزم تجويز رؤية كل جوهر ، وهـــذا قاطع فى إثبات ما نبغية[1] .

وهذا الدليل قد ضعفه الأشاعره أنفسهم وقالوا بفساد قياس الغائب على الشاهد .

وأنا أضيف أن فى وقتنا الحاضر توجد موجودات لا ترى كالكهرباء والأثير ونحوها .

ثم إن قولهم كل موجود يصح أن يرى والله موجود فيصح أن يرى كلام غير سديد ، فالمقدمه الأولى صحتها هكذا كل موجود محسوس يصح أن يرى .

والله سبحانه وتعالى تقدس أن يكون محسوساً لكى يرى على زعم من قال بذلك .

(١) الإمام الجوينى : الإرشاد ص ١٧٧

ولذلك صرح الأشاعره بانقطاع المسلك العقلى ، فى إثبات الرؤيه وعولوا على الأدله السمعية .

الأدله النقليه على الإمكان :

١ — سؤال موسى الكليم عليه السلام الرؤيه بقوله : « رب أرنى أنظر إليك » [الأعراف : ١٤٣] .

ووجه استدلالهم به أنه إما أن يكون ناشئا عن جهل وهو مستحيل لاستحاله أن يجهل الأنبياء ما يستحيل عليه تعالى ، وهم أعرف بالله وبكبريائه ، وما يجب له وما يستحيل عليه ، وإما أن يكون مقترنا بعلمه — عليه السلام — أنها مستحيله وهو باطل أيضا ، لأن طلب المحال عمدا ليس من شأن الأبرار . فضلا عن جوازه على النبيين ، وإنما هو من شأن أهل العتو والشقاق ، فنتج عن ذلك أنها جائزة عليه تعالى وأن موسى عليه السلام عالم بجوازها ، فلذلك اجترأ على سؤالها(١) .

٢ — قوله الله سبحانه « ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » [الأعراف : ١٤٣] .

ووجه الإستدلال بالآية أنه تعالى علق الرؤيه على استقرار الجبل ، وهو فى ذاته ممكن ، والمعلق على الممكن ممكن مثله .

(١) الشيخ أحمد بن حمد الخليلى : الحق الدامغ ص ٣٤ ، ٣٩

وأما من السنه : —

فما روى عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من إثبات رؤيته ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج .

ووجه استدلالهم بذلك على إمكان الرؤيه : أنها لو لم تكن ممكنه ، لما قال بوقوعها أحد من الصحابة وهم أو فر عقلا ، وأغزر علما ، وأنور بصيرة ممن جاء بعدهم ، ووجه اعتبار هذا الدليل من السنه أنهم رضى الله عنهم لا يقولون شيئا من نحو هذا اعتباطا . ولكن استنادا إلى ماعلموه من رسول الله ﷺ(١) .

وأما القسم الثانى وهو أدلة وقوعها فى الآخره ، فهو نقول بعضها من الكتاب وبعضها من السنه فمن الكتاب :

١ — قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضره إلى ربها ناظره » القيامة : ٢٢ وذلك على أساس تفسير النظر بالرؤية .

٢ — قوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » يونس : ٢٦

فقد فسروا الحسنى بالجنه ، والزيادة بالرؤية ، مستدلين بحديث صهيب عند الشيخين مرفوعا « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه .

قالوا : ألم تبيض وجوهنا و تنجنا من النار ، وتدخلنا الجنه ، قال : فيكشف الحجاب ، قال فوالله ماأعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه »(٢) .

(١) الحق الدامغ : ص ٣٩ .
(٢) السابق : ص ٤٢

٣ — قوله تعالى : « ولدينا مزيد » بناء ماروى أن المزيد هو رؤية الله تعالى .

٤ — قوله تعالى : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » .
المطففين : ١٥

ووجه استدلالهم به أنه كما دل منطوقه على حجب الكفار عن ربهم فمفهومه دال على أن المؤمنين يرونه . لأن حجب الكفار عقاب توعدوا به فلا يليق بالمؤمنين إلا خلافه (١) .

٥ — قوله تعالى : « على الأرائك ينظرون » المطففين : ٢٣

وذلك بناء على تفسير النظر بالرؤية .

٦ — الآيات المصرحة بلقاء الله تعالى وذلك أنهم فسروا اللقاء بالرؤية كما فى قوله تعالى : « ولو كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه »
آل عمران : ١٤٣

٧ — قوله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا »
الإنسان : ٢٠

استدل به الفخر الرازى فى تفسيره لسورة الأنفال مبينا أن احدى قراءات الآية (مَلِكا) بفتح الميم وكسر اللام وقال : أجمع المسلمون أن ذلك الملك ليس إلا الله تعالى ، وعندى أن التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها (٢) .

وأما من السنه فإن أشهر وأقوى ما اعتمد عليه الأشاعره فى

(١) الحق الدامغ : ص ٥٢ .
(٢) التفسير الكبير : حـ ١٣ ص ١٣١ ط ٢

الاستدلال على ثبوت الرؤية لله تعالى فى الآخره حديث (سترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر) ونص الحديث كما ورد فى البخارى مايلى :

روى الشيخان — واللفظ للبخارى — فى كتاب التوحيد قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة أن الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون فى القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يارسول الله قال : فهل تضارون فى الشمس ليس دونها حجاب ؟

قالوا : لا يارسول الله ، قال : فإنكم ترونه كذلك .

يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أومنافقوها — شك إبراهيم — فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفونها فيقول لهم :

أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه .... الخ

أدلة النافين للرؤية

وهى قسمان : عقلية ونقلية .

أما العقلية : فتتلخص فى أن الله سبحانه كان قبل خلق الوجود كله ، ولم تتحول ذاته ، أو تتبدل صفاته بعد الخلق عما كانت عليه قبله ، فلا تتصل ذاته سبحانه بشىء من مخلوقاته كما أنها لا تنفصل عنها ، لأن كل ذلك من صفات الحوادث ، ومن ثم كان إدراك كنهها مستحيلا عقلا ونقلا ، وإنما غاية المعرفة بها الشعور بالعجز عن إدراك كنهها كما قيل « العجز عن الإدراك هو الإدراك » .

والرؤية البصرية المعهودة هى انطباع صورة المرئى فى حدقه الرائى بقوة الذبذبات الضوئية الملتقطة للصور ولها شروط :

— أولها : سلامة الحاسة .

— ثانيها : أن يكون المرئى جائز الرؤيه فيخرج بذلك ما كان ممتنعا كالروح والعقل والروائح والأصوات .

— ثالثها : مقابلته للباصرة فى جهة من الجهات أو انعكاس صورته فى شىء مقابل للرائى ، وتدخل فى ذلك الصور المرئية فى المرايا أو الشاشات .

— رابعها : ألا يكون دقيقاً جداً كالميكروبات التى تعجز الأبصار عن التقاط صورها وإدراك حقيقتها ، وذلك يختلف باختلاف حالة البصر قوة وضعفاً .

— خامسها : ألا يكون فى منتهى اللطافة كالنسيم .

— سادسها : ألا يكون قريباً جداً فإن الإلتصاق بالأبصار يحجبها

عن الرؤيه ولذلك تحجب الأجفان الأحداق عن رؤيتها .

— سابعها : عدم غاية البعد فإن البعيد جدا يضعف البصر عن رؤيته ولذلك تخفى عن أبصارنا الأجرام السماوية الضخمة لإبتعادها فى البعد . وتختلف الحالة فى هذا الشرط باختلاف الأبصار قوة وضعفاً واختلاف المبصرات صغراً وكبراً .

— ثامنها : عدم الحجاب الحائل وهو الجسم الكثيف أو ما فى حكمه كالضباب المتراكم .

— تاسعها : أن يكون مضيئاً بنفسه أو واقعاً عليه ضوء غيره[1] .

وأنت ترى أيها القارىء أن هذه الشروط معتبره فى رؤية الشاهد أما رؤية الغائب فتختلف عن ذلك ولا شك أن الدنيا غير الآخرة وقانون الدنيا يختلف عن قانون الآخرة وبذلك ينقطع المسلك العقلى فى نفى الرؤية كما انقطع فى إثباتها .

وأما النقلية فبعضها من الكتاب وبعضها من السنة أما من الكتاب فهى كما يلى : —

١ — قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (الأنعام : ١٠٣) .

ووجه الاستدلال بالآية : أنه تعالى مدح نفسه فيها بأن الأبصار لا تدركه ، وإدراكها الرؤية ، فتبين منها أن عدم رؤيته بالأبصار صفة ذاتية لازمة له تعالى ، فإنه لو روى للزم زوال مدحه وإذا زال انقلب إلى ضده ، وهو الذم تعالى الله عنه .

---

(١) مشارق أنوار العقول ص ١٩٨ ، الحق الدامغ ص ٦٧ ، ٨ .

ومن ناحية أخرى فإنه أخبار من الله سبحانه بوصف من أوصافه وأخبار الله لا تتبدل لأنها لو تبدلت كان التبدل تكذيباً لها (ومن أصدق من الله قيلا)[1] .

٢ — قوله تعالى لموسى عليه السلام « لن ترانى » (الأعراف : ١٤٣) فإنه نفى مطلق غير مقيد بزمان ولا تبديل لكلمات الله ، فلو حصلت الرؤية فى أى وقت من أزمان الدنيا أو الآخرة لكان ذلك منافياً لصدق هذا الخبر ، وتتأكد دلالة هذا النص على هذا المعنى باندكاك الجبل الذى علقت الرؤية على استقرارة اندكاكا هائلا ليكون آية بينه تستأصل أطماع المتطاولين على الله بطلب أو تمنى ما يستحيل عليه ويتنافى مع كبريائه وقد وضح لكل ذى عينين صبح الحق بعدم استقرار الجبل فلا مطمع فى حصولها لأنها إحدى المستحيلات .

وما ألطف وأدق وأروع قول موسى عليه السلام إثر إفاقته مما حصل له من الصعق بعد هذا الحدث « سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » (الأعراف : ١٤٣)

فقد بادر عليه السلام أولا إلى تنزيه الله سبحانه إعلاناً بحق ربوبيته ، واعترافاً بالخطأ اعظاما لحق الله ، وإن كان قلبه عليه السلام بريئاً من قصد مادل عليه ظاهر قوله بادى الرأى لأنه لم يسأل ماسأل إلا لتبكيت قومه . . ثم أتبع ذلك التوبة النصوح مما وقع فيه تعرضاً لمغفرته تعالى : وختم كلامه بأنه عليه السلام أول المؤمنين بأن الله تعالى لايرى وفى هذا من تقرير عقيدة الحق المنزهة لله عن درك الأبصار ما لايخفى على ذى بصر .

(١) الحق الدامغ ص ٦٨ ، ٦٩ .

فإنه عليه السلام ما قصد بقوله (وأنا أول المؤمنين) إلا الاعتذار والتنصل مما يوحى به ظاهر قوله ، وإن كان الله عز وجل عالما ببريرته فإن مثل ذلك مثل الاستغفار باللسان ، والإخبار بالقول عن عقد العزم على عدم العوده إلى المعصية مع أن الله عليم بالسرائر لايخفى عليه شىء مما اشتملت عليه حنايا الضمائر .

ولن تفيد تأكيد النفى أو تأبيده أو هما معا فتحصل من جميع ذلك أن رؤيته تعالى مستحيلة ، لأن امتناعها لأمر يتعلق بذاته تعالى ، وهو كونها غير قابله لأن ترى ، وإلى ذلك الإشارة بالتنزيه الذى صدر به الإعتذار فى قول موسى عليه السلام ، ولو كان لأحد مطمع فى حصول الرؤية لما آيس الله منها عبده موسى الذى اصطفاه على الناس برسالته وبكلامه .

واعترض على هذا الاستدلال بأن هذا النفى مقيد بالحياة الدنيوية — وهذا كلام سديد — لأن الإنسان فيها مفطور على الفناء ، فلذلك لم يكن أهلا لرؤية الباقى تعالى .

كما اعترض بأن الجواب لم يكن بصيغة تفيد أن الله لايرى لأن الرؤية المنفية فى صيغته أسندت إلى موسى عليه السلام فهى لاتفيد عموم النفى بخلاف ما لو كان الجواب لا أرى[1] .

٣ — قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب » (الشورى : ٥١) .

ووجه الإستدلال أن الله عز وجل نفى أن يكون لبشر تكليم من الله إلا بما ذكره من الطرق وقد أكد هذا النفى بإدخاله على (كان)

(١) الحق الدامغ ص ٨٥ ، ٨٦ .

لتأكيد تعذر وقوع المنفى ، ولا يتقيد هـذا النفى بزمن دون زمن ولو كانت رؤيته تعالى جائزة لكان تكليمه جائزاً بغير هذا الطرق[1] .

٤ — ماجاء فى آيات الكتاب من الإنكار البالغ والتقريع الشديد للذين سألوا الرؤية من اليهود والمشركين ، مع تحذير المسلمين من أن يقعوا فيما وقعوا فيه ، ومن ذلك قوله تعالى : —

« يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة »
(النساء : ١٥٣) .

وقوله تعالى : « وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً »
(الفرقان : ٢١) .

ثم اتبع ذلك ببيان حالهم عندما يرون الملائكة (يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجورا)
(الفرقان : ٢٢)

وسكت عن رؤية الله تعالى لما فى سؤالها من التعنت البالغ والكفر العظيم ، وقوله « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » (البقرة : ١٠٨) .

ووجه الاستدلال بذلك مافى هذا الإنكار من الدلالة الواضحة على أن الذين سألوها تخطوا جميع الحواجز ، واقتحموا كل السدود ، حتى داسوا حمى محجورا ، وحاولوا أمراً مستحيلا ، ولذلك عوقب

(١) الحق الدامغ ص ٨٨ .

بنو إسرائيل بالصاعقة على هذا السؤال ، مع أنهم لم يعاقبوا بمثلها على جميع ما كانوا يأتونه من الفظائع ، حتى عبادتهم للعجل[2] .

وواضح كل الوضوح أن كل ذلك إنما هو فى الدنيا لافى الآخرة التى كما قلنا نختلف عن الدنيا تماماً .

وأما من السنة فما يلى :

١ — ما رواه الإمامان البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال :

(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن) .

ووجه الاستدلال به صراحته فى عدم رؤيتهم لله لحيلولة رداء الكبرياء بينهم وبين ذلك ، والكبرياء صفة ذاتية لله عز وجل لايمكن أن يتخلى عنها كما لا يتخلى عن القدرة أو العلم أو الإرادة أو الحياة أو السمع أو البصر إذ لو تخلى عنها فى أى لحظة لكان منقلباً عنها إلى ضدها ، وهو الصغار المنافى لربوبيته تعالى فمن ادعى مع هذا النفى رؤيته سبحانه لزمه سلب الكبرياء عن الذات العلية[3] .

٢ — ما أخرجه مسلم عن أبى موسى الأشعرى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال :

(١) إن الله عز وجل لاينام ولا ينبغى له أن ينام .

(١) الحق الدامغ ص ٨٩ .
(٢) الحق الدامغ ص ٩٠ .

(ب) يخفض القسط ويرفعه .

(حـ) يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل .

(د) حجابه النور - وفي رواية النار - .

(هـ) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

ووجه الاستدلال به على امتناع الرؤية مايقتضيه من تعذر أن ينتهي إليه سبحانه بصر أحد من العباد .

والحديث ما أراد به صلوات الله وسلامه عليه إلا تمثيل تعذر وصول عقول البشر إلى كنه الحقيقة الذاتية المقدسة أو امتداد أبصارهم إليها ، فإن الرؤية وسيلة من وسائل الا كتناه عادة[1] .

٣ — ما أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه عليه أفضل الصلاة والسلام قال عندما سئل عن رؤيته لربه (نور أنى أراه) .

ووجه الاستدلال به أن النبي ﷺ استبعد فيه حصول الرؤية بقوله (أنى أراه) فإن أنى بمعنى كيف وهو شاهد على استحالة رؤيته تعالى[2]

(١) الحق الدامغ ص ٩٢ - ٩٣

(٢) الحق الدامغ ص ٩٤

تعقيب

ذكرنا أدلة المثبتين للرؤية والنافين لها بتلخيص لأن هدفنا ليس التوسع في تقرير الخلاف بقدر ما هو إرادة الوصول إلى تطبيق المنهج الذي اخترناه والذي من أجله اخترنا هذه القضية لنطبق عليها ، إن كتب العقيدة التي تناولت قضية الرؤية كثيرة جداً عند مختلف الإتجاهات في الفكر الإسلامي بين مثبت لها وبين ناف .

والمثبتون على رأسهم الأشاعرة كتبهم تفيض بذكر أدلة الإثبات والرد على المخالفين .

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب الإمام الأشعري والإمام الباقلاني ، والإمام الشهرستاني ، والإمام الجويني والإمام الغزالي والإمام الرازي ، وكذلك كتب متأخري الأشاعرة كسعد الدين التفتازاني في كتابه المقاصد والإمام الإيجي في كتابه (المواقف والإمام الجرجاني في شرح المواقف) .

وكذلك النافون للرؤية وعلى رأسهم المعتزلة والشيعة والإباضية نجد في كتبهم تفصيلا للقضية : الأدلة والردود على الاعتراضات وخاصة كتاب القاضي عبد الجبار (المغني) الذي خصص فيه جزءاً كبيراً لقضية الرؤية .

وما إلى هذا قصدنا ولا إلى تقرير الخلاف أردنا ، إنما أردنا تطبيق منهج « وحدة المسلمين » في هذه القضية ويطبق ما نقرره هنا على بقية القضايا ، الكل ذكر أدلته ، وذكر اعتراضات المعترضين ورده عليها سواء المثبتين أو النافين .

فنحن نطالب بـ :

أولا : عرض الأدلة والاعتراضات عليها والرد على الاعتراضات بأمانة شديدة سواء كانت أدلة الموافق أو أدلة المخالف ، وذلك لإعطاء الفرصة للقارىء أو المستمع لكى يوازن ويعتقد ما يشاء دون ضغط أو حرج .

ثانيا : مراعاة أدب الاختلاف فى الإسلام فلا يشنع أحد على أحد ، ولا يسفه أحد رأيا من الآراء ولا يفسق ولا يكفر المخالفين .

لأننا كما قلنا : خارج دائرة المعلوم من الدين بالضرورة : الحرية متاحة للجميع فى أن يعتقد ما شاء من الاعتقادات بشرط تدعيم ذلك بالدليل .

وأطبق هذا المنهج على نفسى بشأن القضية التى نحن بصددها :

لقد قرأت أدلة المثبتين والنافين للرؤية والاعتراضات والردود فاتضح لى ما يلى :

إنقطاع المسلك العقلى فى إثبات الرؤية لله تعالى فى الآخرة لاعتماده على قياس ، الغائب على الشاهد وبالتالى لا يبقى إلا الأدلة السمعية وأقوى ما أستند إليه المثبتون .

قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

وفسر المثبتون للرؤية : النظر هنا بمعنى الرؤية ومن حقهم ذلك ، طالما أن من بين معانى النظر فى اللغة العربية الرؤية ، فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ويفهم فى سياق هذه اللغة .

ويعضد هذا الإتجاه حديث مروى فى الصحيحين ومنه (سترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر) .

وكل ذلك فى الآخرة فلا يقدح فيه دليل النافين العقلى للرؤية لأنه مبنى على قياس الغائب على الشاهد وهذا القياس فاسد كما قلنا .

واعتمدوا أيضاً فى الأدلة النقلية على آيات تنفى إمكانية رؤية الله فى الدنيا وهذا ممتنع أيضا عند المثبتين للرؤية كما قدمنا مثل قوله تعالى على لسان سيدنا موسى :

(رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) .

وخلاصة الآية إمتناع رؤية الله فى الدنيا سواء لسيدنا موسى أو لغيره .

ويؤيد ذلك حديث مروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها وبعض ما جاء فيه (أن من قال أن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج فقد أعظم على الله الفرية) والرسول عليه الصلاة والسلام نفسه حينما سئل (هل رأى ربه قال : نور أنى أراه) .

وبالتالى : فالعقيدة التى ألقى الله تعالى عليها هى إثبال رؤية الله للمؤمنين فى الآخرة ولكن دون تحديد الكيفية لأن قانون الدنيا يختلف عن قانون الآخرة كما قدمنا ، ليتفق ذلك مع قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وأيضا فإن حياة الآخرة غير حياة الدنيا فلا يقاس هذا على ذاك .

ومن حق أى مسلم أن يعتقد خلاف ذلك بعد النظر فى الأدلة كما فعلت أنا ، أو يتلمس من يرضى علمه وخلقه ودينه .

ولاشىء فى ذلك على الاطلاق وكلنا أخوة فى الإسلام .

ولا يفسد الخلاف للود قضية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى وليس كلمة فقال كما نسمعها كثيراً ، دون أدنى مراعاة لمضمونها الحقيقي .

ولقد كنت أشرح هذه القضايا المختلف حولها لطلبة السنة النهائية (الليسانس) بمعهد السلطان قابوس العالي للدراسات الإسلامية بمدينة صحار بسلطنه عمان ، وبدأت المنهج بمقدمة منهجية حول أدب الاختلاف في الإسلام وهي مجموعة المحاضرات التي طبعتها بعنوان (بحوث في العقيدة الاسلامية) .

وكان مما قلته أن آفة المسلمين عدُّ الرأي دين ولم تسلم فرقه واحدة من هذه البلية التي فرقت المسلمين شيعاً وأحزاباً إلى اليوم .

وقلت أن المحافظة على وحدة المسلمين بالقول . والعمل تأتي في الترتيب بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وأن الفرقة الناجية يوم القيامة منتقاه من جميع الفرق والاتجاهات وهم من بذلوا الجهد لجمع شمل المسلمين والمحافظة على وحدتهم .

ثم شرحت القضايا المقررة والتي هي محل خلاف .

ومنها « رؤية الله تعالى بين الاثبات والنفي » .

شرحت هذه القضية بالطريقة التي سطرت بها هذا البحث .

وأعلنت كفرد مسلم — قادر على النظر — عقيدتي التي ألقى الله تعالى عليها والتي مر ذكرها قبل قليل .

فإذا بالوجوه تصفر وتتلون وتهرب منها الدماء لدرجة أن دخلني خوف كبير على هؤلاء الطلاب .

ماذا جرى يا ربي ؟ ألم يفهموا كلامي ؟

ألم يقتنعوا بشرحي ؟

الحق أنهم فهموا . . لكن اقتنعوا ؟ الله أعلم لأن مذهبهم أباضي ، ومن مبادئهم الرئيسيه نفي رؤية الله تعالى في الآخره .

وشيخهم ومرجعهم الحالي هو الشيخ العالم : أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام سلطنة عمان . له كتاب به ثلاث قضايا منها هذه القضيه وعنوانه :

(الحق الدامغ) . وسألت نفسي مم خاف هؤلاء الطلاب ؟ أخافوا على من إنهاء العقد وتسفيري إلى بلدي قبل الأوان ؟

أم خافوا لأنهم رأوا في إعلاني هذا : فسوقا والعياذ بالله تعالى ، كما ينص على ذلك شيخهم في القرن الرابع عشر الهجري الإمام نور الدين السالمي صاحب كتاب (مشارق أنوار العقول)

وهو الكتاب العمدة والمرجع الرئيسي لهم في العقيدة . في هـذا الكتاب ينص الإمام السالمي — رحمه الله — على أن المخالف في الرأي للأباضية في قضية من القضايا المختلف حولها . إن كان متأولا فهو فاسق وإلا فهو كافر والعياذ بالله تعالى[1] .

ولقد رأينا أسماء الكتب قديما وحديثا تدل على التحزب والتعصب وعدُّ الرأي دينا .

من ذلك مثلا نجد إمام الحرمين له كتاب بعنوان : (الإرشاد إلى قواطع الأدله) .

---

(١) راجع حكمه هذا في قضية (الرؤية) ص ٢٠٦ مشارق أنوار العقول .

وقواطع الأدله : هى الأدله التى تؤدي إلى معرفه يقينيه .

وقد رأينا أن الأمر ليس كذلك ، وكذلك نجد الإمام الرازى مثلا يكتب (المطالب العاليه) و (نهاية العقول) ونجد كذلك القاضى عبد الجبار له كتاب (المغنى فى أبواب التوحيد والعدل) ، والمغنى ، هو الكتاب الوافى الذى لايحتاج المسلم معه كتاب آخر أو أن المعارف التى به تغنى المسلم عن سواها .

وفي وقتنا الحاضر مربنا ذكر كتاب (الحق الدامغ) وقد اشتمل على ثلاث مسائل هى :

١ — رؤية الله بين الإثبات والنفى .

٢ — القرآن الكريم قديم أم مخلوق .

٣ — صاحب الكبيره الذى لم يتب منها هل يخلد فى النار أم لا ؟ وفى المسائل الثلاث يذهب الإباضيه مذهب المعتزلة .

وفى هذه المسائل كما رأينا لايوجد (حق دامغ) بل يوجد رأى ورأى آخر واجتهاد وصواب أوخطأ والكل مأجور .

فرد عليه الدكتور : على بن محمد ناصر الفقيهى من المملكة العربية السعودية بكتاب أسماه (الرد القويم البالغ على الكتاب المسمى الحق الدامغ) بالله عليكم لقد قطع أولهما بأن معه .

(الحق الدامغ)

وقطع الثانى بأن معه :

(الرد القويم البالغ)

وبذلك يكون ماعليه كلاهما دين يجب أن يتبع وتنفق الأموال للدعوة

إليه وكأن رسالة سيدنا محمد ﷺ قد قطعت إربا كل حزب أخذ قطعه ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

ومن يخالف ماعليه القوم خرج من ملة محمد والعياذ بالله تعالى .

وإذا أعلن أحد أنه يقول بقول هذا أو ذاك تقام الأفراح والليالى الملاح ، كأن الإسلام قد فتح فتحا جديداً ، ولاحول ولاقوة إلا بالله .

ولقد ألقى شيخنا وعميد كليتنا الأستاذ الدكتور عبد المعطى محمد بيومى محاضرة فى قاعة الإمام محمد عبده بحضور شيخ الأزهر ووزير الأوقاف عن (المرأة فى الإسلام) .

كان مما قاله أن المرأه يصح أن تكون قاضيه ووزيره ورئيسة وزراء ورئيسة للدولة ، فقامت القيامة عليه فى الداخل والخارج ، وقد وضح الرجل مايقصده مفسراً أن ذلك لا يكون إلا فى دولة ديمقراطية تتوزع فيها السلطات بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية بصورة حقيقية كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا فإن الرئيس لايملك كل السلطات وليست له الولاية الكاملة ومجلس النواب له بعض السلطات وليست له الولاية كاملة وهكذا .

لا كما يوجد فى معظم البلاد العربية والإسلامية من ديمقراطيات مزيفة والحكم فيها فى يدالرئيس ، أوالملك أوالأمير بصورة تكاد تكون كاملة وبذلك يلتقى الإعتراض بالحديث الذى يقول : (لاخير فى قوم ولوا أمرهم إمرأة) لأنه فى هذه الحالة لاتكون المرأة قد تولت أمرنا بصورة كامله .

هذا إجتهاد فمن لديه اجتهاد آخر فليدلى به مراعيا أدب الاختلاف فى الإسلام ، الأمر الذى نفتقده فى صحفنا ، ووسائل إعلامنا ، من التشنيع والهمز واللمز على كل صاحب رأى مخالف لما عليه المهاجم والمشنع .

ولا يراعون فى ذلك أمورا هامه ، وهى أن رموز الإسلام الرئيسية يجب أن يكونوا فى مأمن من الهجوم والحرب النفسية ، والإعلامية ، التى تشن من المخالفين .

ولم يسلم شيخ الأزهر الوقور الشيخ الجليل الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى من ذلك ، وأصابه الشىء الكثير .

وكذلك إمامنا الراحل فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى أما أخلاق العلماء الملتزمين فى هذا السبيل هو ماوجدناه عند كل من الشيخين الجليلين محمد متولى الشعراوى وفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر حيث كانت بينهما خلافات فى بعض المسائل ، وكل منهما يحفظ لصاحبه قدره ومنزلته .

ولقد سرت قشعريره فى جسدى وأنا أرى على شاشة التليفزيون الإمام الأكبر شيخ الأزهر وهو يهرول وسط الغبار فى تشييع جنازه المرحوم الشيخ / محمد متولى الشعراوى .

فقلت هكذا تكون الأخلاق بين علماء المسلمين ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

اللهم اجعل عملى هذا فى ميزان حسناتى يوم القيامة إنك سميع قريب مجيب الدعاء .

والحمد لله الذى له المنة والفضل ؟

د . محمد عبد التواب السيد

أهم المراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — صحيح البخارى .

٣ — صحيح مسلم .

أحمد بن حمد الخليلى (فضيلة الشيخ المفتى العام بسلطنة عمان)

٤ — الحق الدامغ . ط مطابع النهضه — روى — مسقط — عمان سنة ١٩٨٩م .

الإيجى (عضد الدين القاضى عبد الرحمن بن أحمد — ت ٧٥٦هـ)

٥ — المواقف فى علم الكلام — مكتبة المتنبى — القاهرة — بدون تاريخ .

الجرجانى (السيد الشريف على بن محمد — ت ٨١٦هـ)

٦ — شرح المواقف — مطبعة السعادة — القاهرة — سنة ١٣٢٥هـ)

الجوينى (إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف - ت٤٧٨هـ)

٧ — الإرشاد إلى قواطع الأدله — نشر د . محمد يوسف موسى والأستاذ . على عبد المنعم — مكتبة الخانجى بمصر — ط مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٠هـ — ١٢٥٠م .

السالمى (الإمام نور الدين عالم عمان فى أول القرن الرابع الهجرى)

٨ — مشارق أنوار العقول — علق عليه وضحه سماحة مفتى عام السلطنه فضيلة الشيخ . أحمد بن حمد الخليلى . ط ٢ سنة ١٩٧٨م .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر — ت ٩١١هـ) .

٩ — صون المنطق والكلام ط تحقيق د. على سامى النشار السيدة / سعاد على عبد الرازق. ط بمجمع البحوث الإسلامية سلسلة إحياء التراث الإسلامى — بدون تاريخ.

طه جابر فياض العلوانى (الأستاذ الدكتور).

١٠ — أداب الأختلاف فى الإسلام — سلسلة كتاب الأمة العدد ٩

عبد المعطى بيومى (فضيلة الأستاذ الدكتور).

١١ — الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب — جـ١ ط الأولى دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٣م.

على بن محمد بن ناصر الفقيهى (الأستاذ الدكتور).

١٢ — الرد القويم البالغ على الكتاب المسمى الحق الدامغ.

الناشر : دار الوحده للكتاب — مكتبة الوحدة المملكه العربية السعودية.